السيد حافظ

سيمفونية الحب

ـ في ثلاث حركات ـ

الحركة الاولى

عصام وليلى والبحر والنورس والقمر

تفوح رائحة البحر وتغترب اخر النجوم في الافق مودعة احلام الصيادين مودعة الشمس . تتهادى موجة فوق الصخر .تتفتتسمكة كانت تحلم بالغوص في القاع بجوار الشط . كانت هي وكنت انا وشريط طويل طوبة والبرد والمطر الخفيف والبحر والنجم والافق البعيد . الظلام . كورنيش البحر . كورنيش الانفوشي وقلعة قايتباي الكهلة العجوز تنظر الينا . بدأنا متشابكتان . على جبهتها تتأرجح خصلات صغيرة بريئة . ويدها الجريئة تضغط بحنان على يدي الباردة والبحر يبتسم لنا .

ـ الحب

ـ افهمكَ

ـ الحب

ـ اعرفك جيدا

قبلتها رغم ان امامي بخطوات محطة الاتوبيس واشباح الناس المنتظرة له كأنه الامل القادم للانقاذ وكانت الناس منكمشة تحت المظلة تراقبنا بعيون مرتعشة . ضغطت عليها في احضاني تأرجحت ، هي طفلتي البريئة تكتب الشعر وتكره نزار لاني اكرهه وتحب ناظم حكمت لانـي احبه . تمزق الخطاب الف مرة قبل ان تكتبه لي لانها تخاف ان اضحك عليها . تقبل كفي .

ـ ابـي

ـ لست ابـاك

ـ حبـي

خطونا ، مر الاتوبيس بسرعة من جوارنا . صرخ احد الركاب وهو ينظر من النافذة :

ـ يا اولاد الكلب اذهبوا للنوم . الدنيا برد .

ضحكنا . في نهاية الرصيف وعند المنعطف . شباك الصيادين ملقاة على الشاطيء . طفل ينتظر الصباح ليمرح ويلهو مع الاسماك في البحار . الجندوفلي . المرجان . الكابوريا . الجمبري .

ـ كنت اظنك لن تحضري اليوم .

ـ اخي لم يحضر من الجبهة . جاءت خطيبته . كنت اظنه سيحضر . خطيبته قالت لن يحضر .

اشعلت سيجارة (بلمونت) ونظرت لها ويدي على كتفيها

ـ أتشمين رائحة البحر ؟

ـ وجهك حزين .. لم انت هكذا ؟

« حزين .. لو تدرين ما حدث اليوم في الجامعة . مجلات الحائط تمزق .. ومقالتي تثير ضجة والعميد يطلبني للحضور . ما الذي كتبه هذا الطالب المففل . لم اذهب للعميد . جاءت قوات الشرطة تضربنا . جرينا . سقط بعضنا . جريت انا . وانا الان معك حزين لم اعرف من قبض عليه ومن جرح .

قبلتها .. كوني لي . قبلتها . نمنا على الشباك وتعانقنا .همست في اذنـي » .

ـ انت مجنون . الناس . الطريق .

(البرودة لا تهم .. العالم دافيء معك . احتويني ايتها المجنونة الحمقى . احتوي جنوني . اجمعيني من تمزقي .. لملمي حروفي التي تمزقت من نشرة المجلة والحائط . احبك . احب البحر احب النورس احب اشعارك الساذجة ولوركا . اسمع صراخ الشرطة وصراخ الجميع .)

خلعت جزءا من ملابسي . خلعت جزءا من ملابسها

مر اتوبيس من جوارنا بسرعة . صراخ ركابه . لكنه لم يقف . كأن الله لا يريد ان يفضحنا . كأن الله يحمينا .

صرخ شاب من المنزل المواجه للبحر من الدور التاسع :

ـ يا مجانين .

ـ يا اولاد الكلب .

. . . . . .

. . . . . .

قال ناجي في القهوة عندالتاسعة مساء انت كنت تسير على البحر في وضع غرامي لقد شاهدتك .

ـ لقد شاهدتني .. اعتقد لا . اشعل سيجارة .

الحركة الثانيـة

عصام والمطـر ومها والتوحيد :

ـ غـــدا ؟

ـ ربمـــا .

ـ ارجـــوك .

ـ احـــاول .

(تغوص اقدامي تدوس في عنق الرياح العفنة . تعربـد ريـاح افكاري على اجنحة المنازل القديمة ويتساقط المطر بشدة في الخـارج وانا أهبط درجات سلم البيت القديم بوجهي المتعب بحنجرتي المجهدة من الحديث الطويل والشرح الممل : تقع أمريكا في موقـع متوسط . ومحاولتي الدائمة ان اخلـق من لاجـدوى الاشياء في تلميـــذتي الوجود . جيلي يتعثر في خانات الهزيمة . جيلي لـم يمنح فرصة وانتن يا تلميذاتي في عيونكن شمس القدوم . (وقفت على بـاب الشارع لا يمكن ان اصعد مرة ثانية .. لا يمكن لقد انتهى الـدرس وتلميذتي ودعتني على الباب وهي ترتجف من رياح « كيهاك ») .

على باب الشارع . المنزل الكبير . على باب المنزل الكبير المطل على الشارع الذي اصبح مستنقعا كبيرا . عربات . رجال بمظلات وقائية للمطر . تحول البشر الى سلاحف تهرع تختبىء . ينهمر المطر فوق جبال الحبشة .. تهب رياح عكسية على المحيط الاطلنطي . يمر طفل من الشارع يسقط . تسقط امطار . تغني فيروز (حبيتـــك بالصـيف) وصوت المحقق

ـ انت يســـاري .

ـنعـم . لا افهـم

ـ نحن يسـار وطنـي وانت يسـار منحرف

ـ نعم . لا افهم !

ـ شرب الشـاي اولا

حسونة المقهى وانا وحديث طويل .. انت الامل لنا .. تحت ابطي (الثورة الثقافية) وحيد النقاش ـ البرتو مورافيا ـ عيـون الشرطي السري ـ الذي يجلس معنا في المقهى .. جاليري ٦٨ . أبحث عن الناشر ـ صبري حافظ يرفض ان ينشر لي .. قصيدة عفيفي مطر لا افهمها .. مات عم العمدة من (السعال الديكي) مع انه تجـاوز السبعين .. عم العمدة بائع الطماطم .. كف الشرطي . صرخة ام في سيناء . رضيع يباع في الصمت .. مقهى الصعايدة .. لعـل وعسى .. صلاح جاهين .. بكرة اجمل .. الحب المطر .. المطر .. المطـر .. عربة تمر بسرعة ..

ـ أســـتاذ

ـ مهـــا

ـ انت تقف على البـاب ..

دخلت مهـا تجري وانا اقف على الباب .. مها خالة تلميذتي لم تتكلم معي ابدا .. دائما ابدا .. ازيـك . تدخل الشاي لي ... نبتسم . في ابتسامتها شاهدت القاهرة تبتسم والمنارة تعانق قلعـة قايتباي . حسن عقل يا غبي .. اتعرف الحب يا ساذج . المرأة لها عيون غجرية ... سوسـن المرسم . من قبائل اسبانيا تحب . بينما كنا نأكل الفول يا حسن . كنت تأتي باشعارك الي تسألني ما رأيك . واليوم قبضوا عليك فجـرا .

عيناك يا مها بألف لغة تتحدثان بثورة العشق الابدي ..حسن في السجن وانا في سجن عينيك ومدت يدها . صافحتني . تشابكت ايدينا .. ضغطت على يدي .. اقتربنا . اقتربنا تشابكت ايدينـا واجسادنا ـ سعاد حسني وخلي بالك من زوزو ـ وقبلة دافئـــه تحت المطر ، وراحت يدي تكتب على جسدها اشعارا ورديـة على شجرة الياســمين ـ السيد بونيلا ونابعه ماتي : هذه يدي عـرت الحروف من على جسدها ونحسـتها وذاقت يدي لحم الحرف ولحم الانثـــى .

صرخ احد الاطفـال من الدور الثالث ..

الدنيا ظلمة قـوي يا ماما .

تفرقنـــا

صعـدت الى اعلـى

خرجت الى الشـــارع

. . . . . .

لـــم نلتـق .

الحركة الثالثـــة

عصام وشادية واللحظـة :

قال الرقيب في المباحث العـــامة :

ـ احذف هذه الجملة من المقالة . وهذه الجملة وهذهالجملة :
قال الرقيب في الرقابة على المصنفات في وزارة الثقافة :
مسرحية ٦ رجال ممنوعة من النشر والتمثيل .
قال مدير شركة التـوزيع :

ـ انت كاتب جديد على القارىء العربي ومسـرحك صـــعب ولا استطيع ان اخرج كتابتك خـارج مصر .
قال رفيق الصـــبان :

ـ وجهك وحركاتك تصلح لان تكون ممثلا معي في مسرحياتي .
قالت يقول .. يقولان .. يقولون .. تقولين .
قالت الموظفة الرقيقة : انت انسان لطيف جدا .. سنتناقش في مسرحيتك الجديدة عندي في منزلي السـاعة السابعة مساء .
زوجي مسـافر الى ايطاليـا
يقول مدير الثقافـة :

ـ وكيل الوزارة في جيبي .. سأجعله يطردك مهمـا فعلـت
يقـولان :

ـلا تخرج يا استاذ .. في الخارج البوليس يقبض على الطلبة .. حاول ان تهـرب .

يقولـــون :

ـ فتـاة سمراء تنتظرك في الخارج ..

تقولـــين ...

ـ انا شـادية .. موش سيادتك الاستاذ عصام المخـرج .. انا شادية بطلة مسرحية « رأس العش » التي ستقوم بأخراجها .. مساعد المخرج اخبرني انني اصـلح ..

هل ستخرج المسرحيـة ؟ ..

المظاهرات . لم تسمع ان هناك مظاهرات والنشاط ممنوع في الجامعـة .. ممنـوع التجمع .

ـ الدول الاوربية التسع ترحب بطلب اليونان للانضمام للسوق المشـــتركة .

الى اين ســـتذهب اليوم ! ..

اتصالات مكثفة في لبنـان لتشكيل الوزارة تتوقع استمرار الازمة اسـبوعا اخـــر .

الى قصـــر الثقافة .

الدول الصناعية والنامية تبحث دعم اقتصاد الدول الفقيرة .

بجواري .. تحدثنا . عن مجلات الحائط . عن الحرية عـن الناصرية الاخوان المسلمين الشيوعيين . كيسنجر يصرح محـادثات رابين وفورد لم تتوصل لنتائج محـددة .

دخلنا محل فينـوس .. أكلنا قطعتين من الجاتوه . شـربنا الشاي خرجنا سرنا .. هل ستطيعين الحضور . لجنة تصـــفية الاستعمار تجتمع في البرتغـال ..

في السادسة مساء .. عندي بروفة السـابعة سأنتظرك أمـام مكتبة الاهرام في شارع النبي دانيال . ودعتني انا مشغول . سعيدة. لا اعرفها . لكنها انيقة .. رقيقة .. ربما انا احتاج الى أي أنثـى الان . لكن معي ميعـاد السابعة مع الموظفة الرقيقـة . وعنـــدي بروفة . وهل سأجد ورقة من البوليس السـياسي تستدعيني . اين كنت اثناء المظاهرات في الجامعة ؟ لابد انك ؟ واين المفروض وأين أجـد نفسـي ..

ـ سعدالدين وهبة اليس هذا مؤلف « سكة السلامة » ؟

ـ نعـم يا شـــادية .

ـ المسرحية دي مش زي « سكة السلامة » مش قوي

عندما جلست في التاكسي ابتسمت . قف يا اسطى . دفعـت ١٧ قرشا ودخلت منزلا . انتظريني دقيقة واحدة . ضـــربت جرس الباب فتحت الباب لي امرأة في الحلقة الثالثـة

ـ الاستاذ خليـل

ـ خـرج خليـــل

ـ اهـلا عصـــام

ـ اعطيني مفتـاح الانيليه بتاعـك

ـ ادخـــل .

دخلت .. جلسنا في الصالـــون

خليل قال لي بلدي ماتت في داخلي وما زالت فيك تنبض يا فتى .

ـ معـــك أحـــد ؟

ـ معي انثـى امـام العمـارة

ـ خذها . هـذا هو المفتـاح .

خليل كان يحلم بأن يكون شيئا .. سقطت احلامه في رحلـة الرغيـف .

اخذت المفتاح منه وهبطت سريعا . سرنا شارعين وعند شاطيء اسبورتنج . صعدنا ثلاثة ادوار ادرت المفتاح في الشقة ودخلنا . اشعلت مصباح الكهرباء في مدخل الشـقة . وجلسنا في الغـــرفة المقابلـــة .

بالتأكيـد كلمة رأسمالية ليست أنيقـة

البلبل لفظهـــا أعـذب

ولكن رغم هـذا سأقولهـا

كلما احتجت اليها .

دع المقاطـع نـرن كالشـعارات المتحـاربة .

« عندما اقفلنا الباب تنفست بارتياح . جلسنا . شعرت بشيء من القلق . استرحت على كتفهـا . فجأة انقطع التيـار . اشعلت عودا من الكبريت . ذهبت الى المطبخ . وجدت ثلاثة شمعات صغيرة في الاركان اشعلتها . نزلت من العمارة مسرعا الى البقـال اشتريت شمعتين وصعدت الى اعلى مرة اخرى . اشـعلت الشـمعة لارى وجهها يبتسم في ضوء الشموع . مدت يدها لـي نمسح عرقا يتصبب من جبيني . انت قلبك بيـدق . »

خلعت قميصي رحت اضـمها الـي .

راحت ترمي برأسها على كتفـــي .

انت انسان غريب . متى ستنزل من هنا . عندما ننهـــــي الشـــموع ...

في الثامنة والنصـف .. هبطنا .. في الظلام . صرخت امـرأه في الدور الثاني مين اللي نـازل ؟

قلت : أنا الاسـتاذ خليل .

ـ ومين اللـي معـاك .

ـ المـــدام .

ـمعليش النور انقطع . كنا جايين نطمأن على حاجة .

ـ هبطنـا ....

الاسـكندرية

مؤسسة عبـــدالحفيـظ البسـاط

لتجليد وتصنيع الكتاب

عملاقة الكتاب في الشـــرق الاوســـط

بيروت ـ البسطة بملكه ـ تلفون ٢٤٢٥٩٢ ـ ٢٥٥٨٣